لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الثامن: تفسير الآيات ٨٥ – ٩٣ من سورة الأعراف

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ هذا اللقاء المبارك الذي سورتنا فيه هي سورة الأعراف، هذه السورة العظيمة التي كان مطلعها أمر عظيم دارت عليه السورة كلها، فلما نقرأ في مطلع السورة بعض الحروف المقطعة في الآية الأولى نسمع قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا الكتاب الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم يدور حول هذا الأمر، الذي سيأتينا في الآية التي بعدها ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾. ما هو المطلوب؟

كل المطلوب منك أن تتبع ما أنزل إليك من ربك، كل واحد فينا ينظر ماذا أنزل إلينا من ربنا ثم يتبعه، ويمنع عليك وعلى كل من اتبع ما أنزل إليه من ربه يمنع عليه أن يتبع غيره ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ على هذا الأمر ستدور السورة كلها، ثم تأتي الأخبار عن الأقوام كيف كان تصرفهم هل اتبعوا ما أنزل من ربهم أم لا.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ بسبب أي شيء أهلكها الله؟ بسبب كونها ما تبعت ما أنزل إليها من ربها واتخذت من دونه أولياء، إذن لا ائتمرت بالأمر ولا انتهيت عن النهي.

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ هذا حالهم بعدما وقع عليهم البأس فالله يقول: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إذن سيُسأل الأقوام وسيُسأل الرسل.

ماذا سيكون موقفنا من السؤال؟! يعني الأقوام التي أتت قبلنا ماذا سيحصل معها؟ ستُسأل، يُسأل القوم ويُسأل المرسلين ﴿ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يعني القوم، وسيُسأل الله أيضاً المرسلين، نحن أمة النبي

ماذا سيكون حالنا؟ كما ورد في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي من بينها ما ورد في كتاب صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء:

"باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾"

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ –الله عزّ وجلّ– مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ –محمد وأمته ماذا سيفعلون؟ سيشهدون–، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾)) وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ[1].

نقرأ رواية في سنن ابن ماجه والحديث عن أبي سعيد الخدري أيضًا:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ((يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاَثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ –يعني من علمكم أنه حقاً هذا النبي بلغ أمته؟– فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾))[2].

إذن هذه صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] "صحيح البخاري" (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ)

[2] "سنن ابن ماجه" كتاب الزهد باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم)

ففي هذا الموقف ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هذا الموقف سيكون لنا فيه موقف، فسنشهد أن الرسل بلغت.

وممن سنشهد عليهم شعيب عليه السلام الذي سيكون اليوم نقاشنا حول قصتهِ مع قومه، ونبقى ذاكرين لأول السورة.

الله عزّ وجلّ في أول سورة الاعراف قال لنا: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ هذه هي الرسالة التي أتى بها النبي وأتى قبله الأنبياء بها، ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ لأنها لم تستجب، وسيتبيّن لنا هذا في القصص التي سنسمعها في السورة ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ فما كان موقفهم؟

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ماذا حصل؟

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ونحن في هذا السؤال لنا موقف ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ والآن أنت تسمع عن قصصهم. ثم ماذا سيكون؟

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ إذن هذا الفلاح، ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ .

إذن مطلع السورة يبيّن لنا ما هو المطلوب منا؟ وماذا حصل لمن قبلنا؟ فأنت اتبع ما أنزل إليك ولا تتبع من دونه أولياء من أجل ألّا يكون حالك مثل هؤلاء، وخذ لك نموذج ما ذُكر لك في سورة الأعراف من قصص الأنبياء وأخبارهم ما فيه كفاية، فقد ورد ذكر نوح، وذكر هود، وذكر صالح، وذكر شعيب، وذكر لوط –عليهم جميعًا السلام–.

وسيكون لقاؤنا في الكلام عن شعيب عليه السلام ، ونحن جامعون قلوبنا على أننا سنُسأل يوم الدِّين عن تبليغ شعيب عليه السلام لقومه، وأننا سنشهد بعلم، مصدِّقين ما أتى في القرآن، مصدِّقين ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ الأعراف: ٨٥ – ٩٣

فأول القصّة يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[٣] وسيتبيّن لنا ما المقصود بالأخوة؟

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ إذن هذا الذي طلبه منهم، ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ما هي البينة؟

﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ هذا الأمر بعد الأمر الرئيس وهو: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الأمر الرئيس وهو التوحيد، ثم أتى بعده أهم سلوك يدلّ على أنهم موحّدين بالنسبة لحالهم:

﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ أصلحها الله فلا تفسدوها، ما معنى إفسادها بعد إصلاحها؟

﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ هذه أوامر ونواهي، اعبدوا الله، أوفوا الكيل، ولا تفسدوا في الأرض، وهذا كله سيكون في مصلحتكم أنتم المنتفعين به أولًا .

﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾ ماذا تفعلون؟ ﴿ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ لا تفعلوا هذا الفعل، نهاهم عن الإفساد في الأرض وأن يقعدوا بكل صراط.

﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أن يكون مقصدكم وبغيتكم أن تكون عوج ، ماهو الذي يكون عوجًا؟

مما يعينكم على هذا الفعل: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا ﴾ ماذا فعل الله بكم؟ ﴿ فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ فمما يعينكم على الأوامر والنواهي، مما يعينكم على أن تعبدوا الله، وتوفوا الكيل، ولا تفسدوا في الأرض، ولا تقعدوا لكل صراط، أن تذكروا إن كنتم قليلاً فكثركم، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين.

---

[٣] الأعراف: ٨٥

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ اصبروا لا تعتدوا علينا ولا نعتدي عليكم، اصبروا حتى يحكم الله بيننا، ماذا كان ردّهم؟

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ أتى التعدّي منهم الآن ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ ﴾ هذا اختيار، والاختيار الثاني:

﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ إما نخرجك أو تعود في ملتنا ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ كارهين الملة التي أنتم عليها.

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم ﴾ نكذب ونقول أن ملتكم هي الحق ونحن نعرف أن ملّتكم هي الباطل.

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ إذن هو انتظر أن يحكم الله بينهم، هم لم ينتظروا قالوا إما نخرجك أو تعود، قال لهم:

﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾ هم بأختيارهم .

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ وسنفهم ما معنى هذا.

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ كان هذا ردّهم على الاختيارين إما نخرجكم أو تعودون.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ إذن يُزهدونهم في شعيب ويجعلون الخسارة في اتباعه، كيف عاملهم الله بعد أن لم يمتثلوا ما أُنزل من ربهم واتبعوا من دونه أولياء؟ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾.

الحكم عليهم: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾ هذه الأرض التي كانوا فيها. ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ شعيب ﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ إذن الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين كما قرأنا في مطلع السورة.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ فلما أخبر الله عزّ وجلّ عن حالهم يوم القيامة ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ الخسار على هؤلاء القوم الذين كذبوا شعيبًا. ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

إذن معنى هذا ما تقرأه في مطلع السورة ستجده متحققًا في الأقوام الذين ذكروا في السورة، وهكذا تقرأ الأعراف، بهذه الصورة تقرأ سورة الأعراف، ماذا نفعل في سورة الأعراف خاصة؟ نرى مطلعها وننظر إلى القصص التي وردت فيها، ونرى كيف أن الله عزّ وجلّ قصّ علينا حالهم وقصصهم، بعدما قرأنا الآيات واستفهمنا ما نريد الإجابة عليه، نقرأ من التفسير المجمل مثل تفسير الشيخ السعدي، ونفهم الآيات، وفي نفس الوقت نجد فوائد إن شاء الله من خلال كلامه.

{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}إلى آخر القصة: أي: { و} أرسلنا إلى القبيلة المعروفة بمدين {أَخَاهُمْ} في النسب {شُعَيْبًا} يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان. إذن عرفنا إلى أي شيء يدعوهم وبأي شيء يأمرهم وكان المفروض أن يتبعوا ما أنزل إليهم.

وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين، بالإكثار من عمل المعاصي إذن الإفساد في الأرض سيكون بماذا؟ بعمل المعاصي، يعني الإنسان الذي يعمل المعاصي الخاصة به يكون ممن شارك في الإفساد في الأرض.

ولهذا قال: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فإن ترك المعاصي امتثالاً لأمر اللّه وتقربًا إليه خير إذن لاحظ (إن كنتم مؤمنين)، فترك المعاصي امتثالًا لأمر الله وتقربًا إليه هذا هو الخير، وليس ترك المعاصي لمجرد تركها لأن لا قدرة لك عليها أو لأنك مللتها، إنما اترك المعاصي متقرباً إلى الله بتركها .

وأنفع للعبد من ارتكابها الموجب لسخط الجبار، وعذاب النار. إذن سيعود الخير عليك لو امتثلت أمر الله وتركت المعاصي.

{وَلَا تَقْعُدُوا} للناس {بِكُلِّ صِرَاطٍ} أي: طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها { و } {تُوعَدُون} من سلكها { وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } من أراد الاهتداء به –يعني بشعيب– **{وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} أي: تبغون سبيل اللّه تكون معوجة، وتميلونها اتباعا لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم للسبيل التي نصبها اللّه لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة،** –إذن كان الواجب الاحترام والتعظيم للسبيل التي نصبها الله لعباده يسلكون في هذا السبيل إلى مرضاته ودار كرامته، والله عزّ وجلّ من أعظم رحمته أن دلّ الناس على السبيل.

وتصدون لنصرتها والدعوة إليها والذب عنها، يعني كان الواجب عليكم أن تصدّوا من يمنع عن هذا الطريق وليس أن تكونوا أنتم قطاع طريق عليها!.

لا أن تكونوا أنتم قطاع طريقها، الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة اللّه ومحادة للّه، وجعل أقوم الطرق وأعدلها مائلة، وتشنعون على من سلكها.

واليوم ما أكثر هؤلاء الذين بلغ بهم قلة الاحترام للدين باسم الدعوة للحرية أن يجعلوا أهل الدعوة إلى الله والمرشدين الناس إلى طريق الله يجعلونهم كما يعبرون فاشْية، يقصدون بكلمة فاشْية: أنه النظام الذي يرغم الناس قهراً لسلوك الصراط المستقيم، وهذا والله منهم افتراء! فإن الفطر السليمة لابد أن تميل إلى

الدين وترتاح إليه، لكن قوم طمس على قلوبهم واستخدمهم الشرق والغرب لتنفيذ مخططاتهم فاجتمع عليهم شأنان: قلوب ميتة، وإغرائات، فما كان منهم إلا أن يتعدّوا على دين الله هذا التعدي ويصدون عن سبيل الله.

على كل حال هذه الحال التي كان عليها قوم شعيب نموذج عليك أن تلاحظه في الواقع، ولم تحكى لك قصص الأنبياء إلا لتعايشها معايشة تامة وترى نماذجها في الحياة.

يقول شعيب لقومه: **{ وَاذْكُرُوا} نعمة اللّه عليكم { إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ} أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة.** {إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا} سيتخطفكم الناس ولما تكثروا ستصبحوا عددًا ويكون لكم هيبة.

وأنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم وأنتم تعرفون أن الأوبئة لما تأتي على الأقوام تذهب بهم! وهذا ابتلاء من الله لبعض الأقوام، فلما يأتي الوباء يموت في البيت الواحد الأربعة والخمسة نسأل الله أن يحفظ المسلمين في كل مكان.

ولا سلط عليكم عدوا يجتاحكم ولا فرقكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدرار الأرزاق وكثرة النسل وهذا من عظيم عطاياه، إدرار الأرزاق وكثرة النسل، في مقابل هذا يقول لهم:

{وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} فإنكم لا تجدون في جموعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة والانبتات ولم يورثوا ذكرا حسنا، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة أشد خزيًا وفضيحة. يحذر شعيب قومه من أحوال من مضوا، وهذه الأحوال تاريخها معروف يتداوله الناس، وهؤلاء يعرفون أقوام جاءهم البأس بياتا أو هم قائلون، لكن عجيب من لا يتعظ بغيره، عجيب أن ترى الناس كلهم يريدون أن يعيدوا نفس المخالفة، يخالفون نفس الطريقة ويصلون إلى نفس النتيجة، وهذا من أعجب أحوال الخلق! واللبيب من وُعظ بغيره، فنحن في حالنا اليوم نرى حولنا من خالف السنة في كل مكان وماذا حدث بهم وكيف لم يأتوا بخير قط، ومع ذلك الناس يسيرون في نفس الطريق ويطلبون بنفس المطالبات كأنهم لا يشفقون على أنفسهم من مخالفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

لا يشفقون على أنفسهم، لا يشفقون على أهليهم من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم، بعدما وعظهم كلمهم عن من استجاب وعن من لم يستجب وكيف عليهم أن يعاملوه.

{وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا} وهم الجمهور منهم. {فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} فينصر المحق، ويوقع العقوبة على المبطل.

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} وهم الأشراف والكبراء منهم الذين اتبعوا أهواءهم ولهوا بلذاتهم، وهؤلاء ما يكون عندهم استعداد لتغيير أحوالهم، رؤساء كبراء في فكرهم في توجيهاتهم في تصريفهم للشؤون ما يريدون أن يغيروا ولهو بلذاتهم أيضًا.

فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من المؤمنين المستضعفين وهذا بسبب ما معهم من القوة.

{لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} استعملوا قوتهم السبعية يعني من السبع، قدرتهم على التصرف.

في مقابلة الحق، يعني عنده سلطه ما يكلمك عن الحق ولا يناقشك فيه يستعمل سلطته.

ولم يراعوا دينا ولا ذمة ولا حقا، وإنما راعوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفيهة التي دلتهم على هذا القول الفاسد، إذن عقولهم هي التي أوصلتهم إلى هذا القول الفاسد.

فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا. ف {شعيب} عليه الصلاة والسلام كان يدعوهم طامعا في إيمانهم، والآن لم يسلم من شرهم، حتى توعدوه إن لم يتابعهم بالجلاء عن وطنه، الذي هو ومن معه أحق به منهم.

لماذا أحق بهم؟ لأن هذه الأرض يورثها الله الذين آمنوا، ويعامل الكافرين بحلمه، لكن الاستحقاق للذين آمنوا.

قال: **ف {قَالَ} لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجبا من قولهم:** وهذا القول الذي.. فيه أن يعود أو لتعودن في ملتنا {أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} كارهين أي شيء؟ **أي: أنتابعكم على دينكم وملتكم**

الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها، فإنما يدعى إليها يدعى إلى ملتكم، **من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها، والتشنيع على من اتبعها فكيف يدعى إليها؟"** يعني أي عقل هذا، نقول لكم هؤلاء الأصنام لا تنفع ولا تضر، هذه المعبودات من دون الله لا تملك شيئا، هؤلاء المقبورين ليس بيدهم شيء إنما هم رفات ميتين، كيف تقولون لنا عودوا فألزموهم أو اطلبوهم، هذا الكلام لا يقال إلا لمن كان له نوع رغبة أو لا يعرف، والذي يأتي يشنع عليها ثم تطلبون منه أن يعودون إليها.

{قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما نجانا اللّه منها وأنقذنا من شرها، إذن أول فائدة هنا أن نعرف أن التوحيد نجاة، وأن من علمه الله التوحيد فقد أنجاه، من حماه من براثين الشرك، ومن براثين تعظيم غير الله فقد أنجاه، وهذه النجاة لا تكون لأي أحد ، نسأل الله أن ينجينا.

فيقولون اشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما نجانا اللّه منها وأنقذنا من شرها، **أننا كاذبون مفترون على اللّه الكذب، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل للّه شريكا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ ولدا ولا صاحبة، ولا شريكا في الملك.** إنه أعظم افتراء أن يكون الله هو خالقك وهو المالك وهو المدبر المصرف الرزاق المعطي الذي ينجيك ويلطف بك ويعطيك ثم تجد قلبك إلى غيره مائل وبغيره متعلق، وقت شدتك تذكر غيره، وقت سرورك تشكر غيره! فما أعظمه من افتراء، ما أعظمه من افتراء، ما أعظمه من افتراء، الله المستعان.

{وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا} أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال من المحال أن نعود لشرك، **فآيسهم عليه الصلاة والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة.**

نعدّ الآن الوجوه التي آيسهم بها أن يوافقه:

الوجه الأول: **من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك.** إذن في قوله {أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} هذا الوجه الأول الذي أيّسهم بها.

الوجه الثاني: **ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبًا،** يقول {قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} يعني لو رجعنا افترينا على الله كذبًا، إذن ما أنتم عليه كذب.

الوجه الثالث: **وأشهدهم أنه إن اتّبعهم ومن معه فإنهم كاذبون** { قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا }.

الوجه الرابع: **ومنها اعترافهم بمنّة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها**. يعني أنا أكون في منّة ينجيني الله فأعود إلى هذه الرذيلة العظيمة! لا، ايأسوا من عودي.

الوجه الخامس: **أن عودهم فيها – بعد ما هداهم اللّه – من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم اللّه تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وأن آلهة المشركين أبطل الباطل، وأمحل المحال.**

ماهية حالتهم الراهنة؟ ما في قلوبهم من تعظيم اللّه تعالى، إذن من المحالات أن يعودون بالنظر إلى حالتهم الراهنة.

وحيث إن اللّه منَّ عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال، إذن في هذه الحالة الراهنة من جهة أن الله وضع في قلوبهم التعظيم، ومن جهة أن الله منّ عليهم بالعقول فعرفوا الحق، لا يمكن أن يعودوا، هذا من جهة حالتهم الراهنة.

أما من حيث النظر إلى مشيئة الله وإرادته النافذة في خلقه –إذن هذا نظر آخر– **التي لا خروج لأحد عنها، ولو تواترت الأسباب وتوافقت القوى** مهما كان عندك أسباب قوية لا تظنّ أن الثبات تحت يدك.

فإنّهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم سيفعلون شيئًا أو يتركونه، ولهذا استثنى قال {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} أي: فلا يمكننا ولا غيرنا، الخروج عن مشيئته الله التابعة لعلمه وحكمته. ونحن نعلم يقينًا أنّ الله لا يخذل المقبلين عليه، أن الله يهدي من اهتدى من طلب الهداية، لكن هذا التقرير دليل على فقر العبد التام.

ثم بيّن هذه الحقيقة في قوله: **{وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} فيعلم ما يصلح للعباد وما يدبرهم عليه. {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} أي: اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم** وليس على أنفسنا.

وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم، فإن من توكل على اللّه، كفاه، ويسر له أمر دينه ودنياه.

فانظر إلى هذا الاعتقاد المهمّ، في نفسك الآن كراهية للشرك، في نفسك الآن بُغض لطريق الضلال والمعاصي، في نفسك الآن استنكار شديد للربا، في نفسك الآن مقت لطريق المستهزئين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الشاكين فيها، تقول ما يكون لنا أن نفعل مثل فعلهم، نقول نعم {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} لكي نبقى على ما نحن فيه {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا}

- يا ربنا نحن نكره طريق الشر طريق المعاصي
- نكره طريق الناس سلكوه استهانة بالدين وعدم التعظيم لك ولأوامرك
- نكره ما نسمع من الاستهزاء بسنة نبيك

نكره هذا كله، لكن هل نثبت؟ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا.

{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ} أي: انصر المظلوم، وصاحب الحق، على الظالم المعاند للحق {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} وهنا يشير الشيخ لمعنى طلب الفتح، قال:

وفتحه تعالى لعباده نوعان:

١) **فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو من المستقيمين على الصراط، ممن هو منحرف عنه.** وهذا فتح عطية من الله أسأل الله أن يفتح لنا أبواب العلم ويفتح قلوبنا لها، إذن هذا فتح العلم.

٢) **والنوع الثاني** من الفتح: **فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة بالظالمين والنجاة والاكرام لصالحين، فسألوا الله أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق والعدل، وأن يريهم من آياته وعبره ما يكون فاصل بين الفريقين.**

إذن بعدما استيأسوا منهم وبعدما أن كان أولئك الاعتداء عليهم إما بالإخراج أو بالعود فما كان منهم إلا أن بيّنوا أنهم لا يعودون وأنهم على الله يتوكلون في الثبات على الطريق وطلبوا من ربنا العظيم أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق. قال: وأنت خير الفاتحين، ولو لاحظتم {وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} وهنا {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} وقد تكرر في السورة مثل هذا.

{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} محذرين عن اتباع شعيب، { لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ } كلام يقولونه بألسنتهم ماذا سيخسرون؟ سيخسرون الدنيا! وماذا تعني الدنيا؟

هذا ما سوّلت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء في اتباع الرشد والهدى. وكم اليوم من يقول إن اتبعتم سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإنكم خاسرون! كم اليوم باللسان الصريح أو بما يتضمنه كلامهم!.

ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال. لكن في وقت لا ينفع فيه الندم ولا ينفع فيه المعرفة.

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} أي: الزلزلة الشديدة {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} أي: صرعى ميتين هامدين.

قال تعالى ناعيًا (واصفًا) **حالهم: { الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا}** كأنهم ماكانوا فيها. **أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، وكأنهم ما تمتعوا في عرصاتها، ولا تفيّئوا في ظلالها، ولا غنوا في مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ثمار أشجارها، حين فاجأهم العذاب {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} فنقلهم** –هذا العذاب – **من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والشقاء والعقاب والدركات ، ولهذا قال: { الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ}** نعم هنا الخسارة، ولذلك ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ، والله يقول:﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ إذن هذا ما وقع عليهم إلا بظلمهم لأنفسهم، ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ إنهم كانوا يقولون للقوم: ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ والحقيقة ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

أي: الخسار محصور فيهم. هم: ضمير الفصل هذا يدلّ على الاختصاص هم فقط الخاسرين.

لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين، لا من قالوا لهم: {لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} فحين هلكوا تولى عنهم نبيهم شعيب عليه الصلاة والسلام {وَقَالَ} معاتبا وموبخا ومخاطبا بعد موتهم: { يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي} قمت بما يجب علي.

أي: أوصلتها إليكم، وبينتها حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفئدتكم يعني عرفتموها أحسن معرفة.

{ وَنَصَحْتُ لَكُمْ} فلم تقبلوا نصحي، ولا انقدتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم.

{فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} ولهذا في مطلع السورة **{فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ}** لا تأس على القوم الكافرين.

فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فردّوه ولم يقبلوه ولا يليق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقين أن يُحزن عليهم، بل يُفرح بإهلاكهم ومحقهم. فعياذًا بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأيّ: شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟!.

إذن هم في حال من الخزي والعار والعناد يجعل أنصح الخلق لهم وهو نبيهم الذي يجتمع فيه أنه منهم، ويجتمع فيه أنه رسول من عند الله، اجتمع فيه الأمران ومع ذلك هم يستحقّون ولا يأس عليهم فكيف يأسى على قوم كافرين؟!

ولهذا من أعظم القُرَب إلى الله: حب من يحب الله، وبغض من يبغض الله، حب من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض من يبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تضع مشاعرك ومحابك في موطن لا يليق، لا تأسَ على قوم كافرين، إذا وصلتهم الرسالة وتبيّن لهم الأمر وكُرّر عليهم، ثم عاندوا، ليسوا أهلًا للشفقة، فإنك تحب الله حبًّا يجعلك تبغض كل من يعادي طريق الله.

ونعود لأول السورة فنقول: إن المطلوب منّا جميعاً أن نتّبع ما أنزل إلينا ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ إن هذا هو المطلوب منا، وكن على حذر ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ لما جاءهم بأس الله ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ لكن في وقت لا ينفع! ماذا سيحصل؟ سيُسأل {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} ما موقفنا من هذا السؤال؟ سنكون شهودًا على كل الأنبياء الذين أدّوا الرسالة إلى أقوامهم ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾، ثم يوم القيامة ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بأي شيء؟ بأنه اتبع ما أنزل إليه.

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المفلحون من اتبعوا وانتهوا عن ما أمروا أن ينتهوا عنه، والذين خسروا أنفسهم هم الذين خالفوا ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.

ولا تنسوا: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ فذكّرنا الله في مطلع سورة الأعراف بنعمه، فكيف بعد أن أنعم علينا هذه النعم كلها ينزل علينا كتاب ويأمرنا بأوامر ويقول لنا ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ ثم نكون ممن خالف! نعوذ بالله من الخذلان ، نعوذ بالله من الخذلان ، نعوذ بالله من الخذلان.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعل شهادتنا يوم الدِّين مع نبيّنا صلى الله عليه وسلم مما نفخر به، ومما يدلّ على قبول الله لنا شهودًا، اللهم آمين.